﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣﴾ [الإسراء: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التّنزيه المُطلق لله تعالى عن افتراءات البنوّة والشّرك

لما أقام سبحانه في الآية السابقة الدليل القاطع على كونه منزّهًا عن الشركاء، وعلى أن القول بإثبات الآلهة الأخرى قول باطل، فإنما هو إلهٌ واحد لا شريك، أردفه بما يدل على تنزيهه سبحانه عن هذا القول الباطل[1] تنزيهًا كاملًا، وعلى تعاليه سبحانه عن مثل هذا الادعاء علوًا كبيرًا، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: أصل السَّبْحُ: البُعْدُ، والتَّسْبيحُ: التَّبْعيدُ، ومنه قولُهُم: سَبَّحْتُ في الأَرْضِ، أي: أَبْعَدْتُ فيها[2]، والتَّسْبيحُ: التَّنْزيهُ والتَّقْديسُ والتَّبْرِئَةُ، يُقال: سَبَّحْتُ اللّهَ، وسَبَّحْتُ لَهُ، أُسَبِّحُهُ تَسْبيحًا وسُبْحانًا، أيْ: نَزَّهْتُهُ وبَرَّأْتُهُ مِن كُلِّ سوءٍ ونَقْصٍ[3]، وَسُبْحانَ: اسْمُ التَّسْبيحِ، وهو اسمُ مَصْدَرِ (سَبَّحَ) المُضاعَفِ وليس مَصْدرًا؛ لِأَنَّهُ لم يَجِئْ على أَبْنِيَةِ مصادرِ الرُّباعيِّ، وقيلَ: هو مَصْدَرُ (سَبَحَ) مُخَفَّفًا بِمَعْنَى نَزَّهَ فَيَكونُ كالغُفْرانِ والشُّكْرانِ، والكُفْرانِ مِنْ: غَفَرَ، وَشَكَرَ، وَكَفَرَ، وَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمالُهُ مَنْصوبًا عَلَى المَفْعولِيَّةِ المُطْلَقَةِ بإضمار فعله كـ ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 23][4]، ويُطْلَقُ التَّسْبيحُ أيضًا على التَّنَفُّلِ والتَّطَوُّعِ بِالعِبادَةِ، والمقصود بـ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ في الآية: التَّنزيه والتَّبرئة ممّا ادَّعَوهُ مِنْ وُجودِ شُرَكاءَ لَهُ في الإِلَهيَّةِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 346.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والخطابيّ، غريب الحديث، ص: 685.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبح).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 413.

2) ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: أَصْل (علو): يَدُلُّ على السُّموِّ والارْتِفاعِ، لا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ[1]، فالعُلُوُّ ضدُّ السُّفْل، والعُلْوِيُّ والسُّفْلِيُّ: المنسوبُ إليهما[2] والعُلُوُّ: أصلُ البناء، ومنه العَلاءُ والعُلُوُّ، فالعَلاءُ الرِّفْعَةُ، والعُلُوُّ العَظَمَةُ والتَّجبُّر[3] والعَلِيُّ: هو الرّفيع القَدْرِ، مِنْ: عَلِيَ، وإذا وصف اللّه تعالى بهِ في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62] فمعناه: يعلو أن يحيط به وَصف الواصفين بل عِلم العارفين؛ وعلى ذلك يُقال: تَعالَى، والمقصود بالتَّعالي في الآية: شِدَّةُ العُلوِّ، و﴿عُلُوًّا﴾: جيءَ بهِ على غَيْرِ قياسِ فِعْلِه؛ للدَّلالَةِ على أَنَّ التَّعالِيَ هو الاتِّصافُ بالعُلوِّ بِحَقٍّ لا بِمُجَرَّدِ الادِّعاءِ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تنَزَّه الله تعالى عمَّا يقولُه المُشركونَ من الكَذِبِ عليه، كنِسبةِ الوَلَدِ والشَّريكِ إليه[5]، ففي الآية إيماءٌ إلى وجود البون الشّاسع بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثُبوت الصّاحبة والولد والشُّركاء والأضداد؛ للمُنافاة الَّتي لا غاية وراءها، بين القديم والمُحْدَث والغنى، والغني والمحتاج[6].

تنَزَّه الله تعالى عمَّا يقوله المشركون، من نسبة الشَّريك والوَلَد له

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف في قوله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾، كلام "مستأنف؛ لأنّه نتيجة لبطلان قولهم: إنّ مع اللّه آلهة، بما نهضت به الحجّة

التنزيه نتيجة إبطال دعاوى المشركين

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (علو).
(3) الخليل، العين: (علو).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 113.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 604، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 266، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 78، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 458.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 50

عليهم من قوله: ﴿إِذَا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا﴾"[1] ولأجل هذا التّرابط القويّ بين تلك الجملة وسابقتها، وما بينهما من (كمال الاتّصال) فُصِلَت عنها.

الغرض من التّعبير بأسلوب التّعجّب:

كلمة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ كلمة دالّة على التّنزيه المطلق للّه تعالى، عمّا لا يليق بذاته المقدّسة، فهي مصدر سبَّح بمعنى نزَّه وبرَّأ[2]، وتقال عبارة (سبحان اللّه) للتّعجّب عند شدّة الهول، وعظم الخطب، ولكن هذا على سبيل المجاز[3] وما هنا محتمل للمعنيين معًا، التّنزيه المطلق للّه ﷻ مع التّعجيب من حال هؤلاء الّذين ادّعوا للّه ﷻ، ما لا يليق به، فإنّ ما ادّعوه عليه سبحانه من البنوّة أمر عظيم، وخطره شديد، يستدعي هذا التّعجب بكلمة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ المنطويّة على معنى التّنزيه المطلق للذّات العليّة، عن كلّ ما لا يليق بكمالها الإلهيّ.

كلمة (سُبْحَانَ) بمعنى تنزَّه، وتأتي للتّعجّب مجازًا

دلالة العطف في قوله ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾:

قوله ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ معطوفة على الجملة السابقة والتي تقديرها: (نسبح اللّه سبحانه)[4] وغرض العطف بالواو هو الجمع بين تنزيهه سبحانه عن صفات النقص، وأيضًا إثبات صفات العلو والكمال اللائقة بذاته في آن.

الجمع بين التّنزيه والتّقديس

دلالة التّعبير بصيغة التّفاعل ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾:

عبر الذِّكر الحكيم بصيغة التفاعل ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ إيذانًا بالمبالغة، ولذلك أتى بالمصدر المجرَّد في قوله تعالى: ﴿عُلُوّٗا﴾ لهذا الإيذان بأنَّ الفعل (تعالى) مجرد في الحقيقة، وإن أُتِي به على صيغة التفاعل[5].

عبّر بصيغة التّفاعل، إيذانًا بالمبالغة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 113.
(2) الشِّهاب الخفاجيُّ، عِناية القاضي: 6/ 34.
(3) الشِّهاب الخفاجيُّ، عِناية القاضي: 5/ 46.
(4) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التنزيل: 8/ 88.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 423.

سرّ التّعبير بالجارّ والمجرور ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾:

تفاهة القول مؤذنة بتهافته وسقوطه

التّعبير بقوله: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾، يشير إلى ما أشار إليه قوله تعالى في الآية السابقة ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ أي: إلى تفاهة هذا القول وتهافته، لكونه مجافيًا للحق مجانبًا للصّواب، فهو مجرد قول أجوف خواء.

غرض التّعبير بـ (ما) الموصولة:

التّعبير بـ (ما) الموصولة أجمع وأخصر

غرض التّعبير بـ (ما) الموصولة دون غيرها؛ لكونها أجمع لكل ما قيل في حقه سبحانه مما لا يليق به، وأخصر في بنية الكلمة من (الَّذي).

دلالة التّعبير بالمضارع، وإيثاره على الماضي:

تجدّد هذا القول منهم وتكرّره

دلّ التّعبير بقوله ﴿يَقُولُونَ﴾ مضارعًا على أنهم كانوا يكررون القول بعبارات الشرك باللّه، كالقول بأن له البنات، وأن له شركاء كالأصنام، وغير ذلك من سائر عبارات الشرك باللّه.

غرض حذف المفعول به لـ ﴿يَقُولُونَ﴾:

حذف المفعول، للعلم به، ولإفادة العموم

حذف مفعول القول لكونه معلومًا مما سبق وهو ادعاؤهم أن للّه سبحانه البنات، وأيضًا للتعميم ليشمل كل قول شركي يصدر عنهم.

تنوّع القراءات بالخطاب والغيبة في ﴿يَقُولُونَ﴾:

خطاب الغيبة لسفل مكانهم، وخطاب الحضور تبكيت لهم

قرأ حمزة والكسّائي وخلف العاشر ورويس بخلفه: ﴿عَمَّا تَقُولُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، وباقي السبعة بالياء ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾[1] على الغيبة، وتوجيه القراءتين مترتب على توجيه القرائتين في: ﴿يَقُولُونَ﴾، ﴿تَقُولُونَ﴾ في الآية السّابقة: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾، أي أنّ قراءة الخطاب هنا محمولة على قراءة الخطاب في الآية السّابقة، وقراءة الغيبة هنا على قراءة الغيبة في الأولى أيضًا، ولذلك فالعادة

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 54، وابن الجزري، النشر 2/307.

أنّ العلماء يوجّهونهما معًا في الموضع الأول فقط[1]، فخطاب الغيبة دالّ على سفل مكانتهم، وخطاب الحضور تبكيت لهم.

دلالة التّعبير بالمفعول المطلق ﴿عُلُوًّا﴾:

الـدّلالـة على أنّ المراد العلوّ بحقّ، لا ادّعاء

قوله تعالى: ﴿عُلُوًّا﴾ مفعول مطلق عامله ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾، جيء به على غير قياس فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: 17] للدّلالة على أنّ التّعالي هو الاتّصاف بالعلوّ بحقّ، لا بمجرّد الادعاء[2]، ومن البلاغة العالية والتّناسب العجيب في ذكر العلو هنا، هو أنه ذكره بعد أن ذكر عنوانه في الآية السابقة في قوله: ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾، وهذا في أعلى مراتب البلاغة[3].

سرّ وصف المفعول المُطلق بلفظ ﴿كَبِيرًا﴾:

المـنـافـاة بين أوصـافـه سبحانه، وبين مـا ادّعـاه له المشركون

معنى وصف العلوّ بالكبر: المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به[4]؛ لأن المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه، وبين ثبوت الصاحبة والولد والشّركاء والأضداد والأنداد، منافاة بلغت في القوّة والكمال إلى حيث لا تعقل الزيادة عليها؛ لأن المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته، وبين القديم والمحدث، وبين الغني والمحتاج، منافاة لا تعقل الزيادة عليها، فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير[5].وفيه أيضًا تنديد بقالة المشركين في ادعاء البنوة له سبحانه؛ لأن وصف علوه سبحانه بـ ﴿كَبِيرًا﴾ يعني أنّه تعالى في أقصى غايات الوجود، وهو الوجوب الذّاتي، وما يقولونه من أنّ معه آلهة، وأنّ له أولادًا في أدنى مراتب العدم، وهو الامتناع الذّاتي[6].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 346، والسّمين، الدّر المصون: 7/ 361.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 113، والشّهاب الخفاجيّ، عِناية القاضي: 6/ 34.
(3) الشّهاب الخفاجيّ، عِناية القاضي: 6/ 34.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 660.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 347.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 79.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»